والحرب ولقد كان ولا زال لها ذلك المقام اذ هي باب الصحراء والسوادين ومنها تصدر اليهما نتائج الحضارة المغربية والاوربية الحديثة يدخلها في كل شهر مئات آلاف من السواح والزائرين ومريدي البيع والشراء من أقصى سوس الى أقصى حدود المغرب كل لقصد من المقاصد فهي رائجة الصنائع والتجارات تصرف فيها الملايين العديدة في كل يوم ولو علم بعددها صاحبنا الذي كتب عنها عجالته[1] لما قال في حقها : انها « من الصعب أن يطلق عليها حتى لفظ مدينة » أو هي كما قال : « إلا قرية ضخمة ممتدة في بسيط احمر من الارض... » بل هي المدينة والالف واللام للكمال بل هي مدينة ذات روح اذ من المدن من لا روح لها وأعني بروح المدن ماضيها التاريخي وذكرياتها التي تتسابق الى فكرك كلما زرتها وأقمت بها وحنت عليك أفنان بساتينها وتفيئت من وريف ظلالها .

وما أكثر ما يصيب الناس في إطلاقهم بعض الالقاب على المدن والقرى، من ذلك اطلاقهم «البهجة» على مراكش اذ هي حقاً بهجة النفس ومغنى الانس كما قال والد صديقنا عبد الكريم سكيرج في أبيات من رحلة الى الجنوب :

مراكش الحمراء وما أدراك ما ☆ مراكش ذات البهى الفتان
هي بهجة الدنيا بمغربنا الذي ☆ ينمى لها في سائر الاوطان

تتجلى في مراكش الحضارة المغربية في أجلى مظاهرها سواء في مبانيها أو تقاليد اهلها وعوائدهم ، ناسها أنس وأهلها أهل يغنون عن الاهل عرفوا بلطف النكتة وحلاوة الحديث والمجاملة في المعاملة وكرم الاخلاق .

عبد الكبير الفاسي

(١) مجلة المغرب : صحيفة ٨ الجزء الخامس عدد ربيع الثاني ١٣٥٥ .

غزل العقاد

في الايام الاخيرة من شهر رمضان الفارط ألقى الاديب النابغ سيدي أحمد أب حنين بقاعة المحاضرات بالمدرسة الثانوية الادريسية محاضرة حول غزل العقاد الشاعر المصري المشهور نالت استحساناً عظيماً من جمهور الادباء، ونحن مغتبطون اليوم بنشر هاته المحاضرة، وننتهز الفرصة لنسدي للمحاضر أجمل تشكراتنا على ما يبذله من جهد في خدمة الادب العربي كما أننا نهنئ جمعية قدماء المدرسة الثانوية على ما تقوم به من تشجيع الادباء وحفز هممهم :

أيها السادة ! في هذا المعهد العزيز قضيت مع رفقائي النبهاء برهة من الزمان ونحن في زهرة الحياة وربيع العمر تلقينا فيها من أساتذتنا الكرام دروساً قيمة في الآداب العربية ، في ذمة الله ذكرى تلك الايام العذبة القصيرة التي لا زالت عذوبتها في القلب وشذاها في الخاطر ، تلك الايام التي نحن اليها ونود — لو تغني الودادة — أن يرجع العمر بنا أدراجه حتى نحياها مرة ثانية ونتمتع في مستقبل الحياة بما لقينا فيها من غضارة العيش وبشاشة الامل .

في تلك اللحظة التي أغمض الدهر فيها جفنه طفقنا نعرف الشعر العربي وشرعنا نفهمه ونحبه . إلا أننا كنا أشد شغفاً بالشعر الاموي وبالاخص شعر الغزلين الذين نشأوا في بادية الحجاز أو حاضرته مثل قيس بن الملوح وقيس بن ذريح وجميل وكثير وعمر بن أبي ربيعة والعرجي ومن على شاكلتهم ، كنا نعجب بهم جميعاً على اختلاف طرقهم في الغزل لانهم كانت تجمعهم وحدة التنويه بالجمال والتغني بالحب وتربطهم رابطة صدق اللهجة وتوقد العاطفة وبساطة التأدية .

ولا بدع ان نحن أقبلنا على شعر الغزلين فكل منا يعلم علم اليقين ما للحب من السيطرة على قلوبنا والنفوذ

في نفوسنا في أي طور من اطوار حياتنا وهل بنا من حاجة الى التنبيه على أن الاطفال انفسهم ابان الرضاع في قبضته وتحت حكمه وهل معنى الحب المألوف سوى الرغبة في الاستيلاء والاستئثار ، فمن ذا الذي لم يشاهد هذه الرغبة في الاطفال مع ما تستلزمه من الغيرة الحادة عند ظهور المنافسة والزحام ولو على سبيل الدعابة والمزاح .

أما الشيوخ فليسوا كذلك في حل من أمره ولا يقيهم سهامه ذبول الشباب واستحالة الاهاب ، ومن المعلوم أن القلب لا يكبر بكبر السن بل يبقى أخضر يانعاً ولو بلغ أقصى العمر ، ولو صح لنا أن نزيد على المثل السائر لقلنا : السيف قد ينبو والجواد قد يكبو والشيخ قد يصبو .

عاطفة الحب مركوزة في جميع الطباع فلذلك ترتاح النفوس لذكره وتطيب عند ما تسمع نجوى العاشقين وتسر بما يقاسونه من ألم الوجد وتبريح الجوى .

وقد فطن الشعراء والحكماء والفنانون لهذه الخصلة الروحية فاستغلوها واتخذوها ذريعة الى جلب الناس اليهم ودفعهم الى الاقبال على ثمرات قرائحهم ، فما من رواية قصصية أو تمثيلية تنشر اليوم على صفحات الكتب أو تمثل في المسارح أو تعرض على مناظر السينما الا ولحمتها الجمال ومحورها الغرام وان كان المقصود بالذات شيئاً سواهما ، وليس الباعث على استعمالهما سوى قوتهما على اسر اللب وتنبيه الخاطر واسترعاء النظر واعانتهما على تقرير معان شتى في الذهن كالغلاف الحلو تغشى به حبة الدواء الذي تصعب اساغته ، ألم يفطن لذلك شعراء العرب في القديم فاستهلوا قصائد المديح بالنسيب لاستلفات سمع الممدوح والحاضرين .

اذا علمتم هذا علمتم أهمية الجمال والحب في الحياة ومقامهما في الآداب والفنون وتبين لكم السر في اقبالنا على شعر الغزلين من شعراء الحجاز في القرن الاول للهجرة لانهم في نظرنا بلغوا بالغزل العربي درجة عالية حاز فيها حظاً وافراً من الجودة والرواء .

كنا مقبلين على شعر هؤلاء بقدر ما كنا معرضين عما قاله شعراء القرون الاخيرة لما تورطوا فيه من الانحلال حتى صار الغزل عندهم عبارة عن وصل الالفاظ ببعضها واستعمال صيغ محفوظة لا تنطوي على معنى لطيف أو عاطفة قوية وتداولت بينهم القاب واصطلاحات وتشبيهات تواردت بكثرة على السمع حتى ملها وسئمها .

أصبح الغزل بذلك ضرباً من عبث الاطفال واصبحنا لا نلتفت لغزل المتأخرين لا لأنهم متأخرون بل لأنهم وصلوا الى الدرجة السفلى من الاسفاف والسقوط ، فقد فقد شعرهم كل حياة ، وصارت القصائد والمقطعات كباقات الازهار المصنوعة من الاوراق المصبوغة التي ربما دلت على مهارة الصانع ولكن شتان ما بينها وبين الازهار الحية النامية في الحدائق ، المتبرجة في الوانها الطبيعية ، التي يترقرق رونقها ويضوع شذاها فاذا الخيال يمعن في الاسترسال واذا الروح يرفرف في جو السرور ، ونحن اذا قرأنا غزلا نود ان نراه صادراً عن السليقة ونحب أن نجد فيه صدى العواطف التي تختلج في نفوسنا وتبقى مبهمة علينا حتى يعمد اليها الشاعر الملهم فيميزها من غيرها ويبرزها في قالب دقيق جميل حاز حظه من الصدق وحسن السبك .

هذه كانت حالنا عند ما عثرنا على ديوان العقاد ففتحناه وقرأنا فيه :

انا الليل والسحر القدير أخو الدجا
قديماً فعاهدني ألست بساحر
ألست ترينا حسن وجهك مفرداً
على حين اشراق الوجوه السوافر
ألست ترينا القفر جنات رحمة
اذا شئت والجنات شبه المقابر

فياساحراً اني لسحرك هيكل
فزخرف بوشي السحر كنز ذخائري
ويا ساحراً ما السحر الا ابتسامة
تشب بها روحي وتطفئ ثائري
تبسم ألا يرضيك ان ابتسامة
بثغرك امضى من صروف المقادر
وان السموات العلى لا تنير لي
طريقاً ، ولكن انت تهدي ضمائري
وان رياض الارض ليست تسرني
بشيء ، ولمح منك يفعم خاطري
وأن جميع الناس لا ينصرونني
وان جهدوا ، لكن حبك ناصري
وانت الى هذا الطفولة مرجعي
ولن يستطيع الدهر ارجاع غابري
فلا تبتعد عني فانك راجع
متى تبتعد عني بصفقة خاسر
ومن لك بالقلب الذي انت مبصر
به كل اعجاز لحسنك باهر
تراه عصيا — ان نأيت — على الرضى
ولا قلب ارضى منه ان كنت زائري
وفي الناس مطويّ الضلوع على الشجا
ولا مثل شجوي بين باد وحاضر
اذا شاركوني في هواك فما لهم
سروري بما اصفيتهم وتباشري

فلم يكن طرب العطشان الهائم في الصحراء عند وجود الماء البارد باشد من طربنا حين أسعدنا الحظ بالعثور على هذا الشعر وجدنا إذ ذاك غزلاً مطبوعاً بطابع روح غريب النزعة جديد اللجهة يروع القلب لاول وهلة ويسحر النفس على البديهة وكلما زدناه تأملا ودرساً زادنا إفادة وإعجاباً .

من مزايا هذا الغزل وخصائصه الصدق ، يصف العقاد ما يجول في خاطره من غير افراط ويفضي الى القارئ بكل ما يختلج في قلبه من غير زيادة ولا نقصان فصدقه يبدو لنا في مظهرين القصد والامانة .

لانجد في شعر العقاد أدنى ميل الى الاسراف فاذا تكلم على الحب وما يهيجه من عطف وشوق وحسرة وعذاب وبغض جنح الى الاعتدال في الاداء ، وتجنب الاسراف والتقصير ، فلا نجد في غزله مثلا انه انحله الحب حتى خفي أو كاد يخفى عن العيان أو أنه غرق في بحار دموعه أو سال دمه من مثاقيه أو غير ذلك من الخزعبلات مما يستحيل في الطبيعة البشرية ، فاذا كان عنده موجب للبكاء وهل موجب البكاء سوى أن يعطف المرء على نفسه انهملت دموعه ، فاذا اخبر عن ذلك قال في بساطة واقتصاد :

ولما تقضى الليل الا أقله
وحان التناءي جشت بالدمع باكياً

وفي بعض الاحيان ربما بلغت به الانفة من الدموع الى أن يساوره الندم عقب البكاء فيلوم نفسه ويقبل على حبيبه يحتقره ويسهل امره وينقص من قدره فلا يهدأ باله حتى يرسل بسهم غمس في سم السخرية والاستهزاء آخذاً بالثار وحباً للانتقام فيقول مثلاً :

غفر الذنب من بكاءي عليك — انني لا أعود ما عشت أبكي
لا يساوي وقد تعلمت منك — نسل حوائكن دمعة شك
خير ما في النساء ساعة ضحك

وكم من مرة يحتجر الدمع في عيني الشاعر ويذهب الالم والالتهاب الى أقصى مداهما وتبقى الغصة معترضة كالشجا في الحلق ويود أن ينهمر الدمع وتسيل العبرات لتخفف شيئاً من شدة الحريق ، ولا تفوت العقاد هذه الحال حتى يصفها وصفاً دقيقاً فيقول :

ماغزير الدموع ! أين الدموع ؟ — كم تريد البكا وما تستطيع
كيف سلواك والفؤاد بما يسـ — ـليه في فاجعاته مفجوع
لهف نفسي عليك يا قلب يابى — فيك الا الكمون داء وجيع
عبرات ، برء الجوى لو اريقت — وسمام حتى تراق نقيع
كنت فيك لا تفيض ولا تبـ — ـرد فالصدر من شجاها صديع
نضب الدمع أم مجاريه سدت — أم فؤادي تامورة مقطوع

كلما رمت في الجوانح مـاء هاج للنار بينهن سطوع
من يذق غصة الشراب فما بي غصة غير أن تفيض الدموع
انما الحزن ريض ما استقى الدمـــع واندى الاحزان حزن رضيع
يحرق الجمر يابس الحطب الجز ل ويابى الحريق لدن مريع
فيك يا حب كل هذا ؟ فمبعداً لك داء ترياقه ممنوع
غمرات وخدعة وجهـاد وسهاد وحسرة وولوع

فأين من هذا قول الذين غرقوا في بحار الدموع ـ لا أنقذهم الله ـ أولع بعض الشعراء بالمبالغة وخيل اليهم أنهم كلما زادوا في المعنى وأسرفوا في الزيادة اكتسب شعرهم بذلك رونقاً وجمالا مثال ذلك قول ابراهيم ابن سهل في موشحه المشهور :

تركت اجفانه من رمقي اثر النمل على صم الصفا

فكما أن النمل لا يترك أثراً عند ما يدب على الحجرة الصماء كذلك أجفان محبوبه لم تبق بقية من رمقه ، فهذا البيت وان كان جيداً من حيث الصياغة والتعبير لانه يؤدي بقوة ما قصد اليه الشاعر من انحاء روحه فهو غير جميل من حيث المعنى لبعده عن الواقع ولا ينبغي أن يخدعنا ظاهره المموه عن باطنه المشوه ، وهذه المبالغة التي كثر طروقها عند بعض الشعراء ليس المقصود منها سوى تمكين الأثر في ذهن السامع أو القارئ بتفخيم المعنى المراد وتعظيم شأنه فيكون ذلك ادعى الى الانتباه والالتفات ، إلا أن الناس امعنوا فى الاغراب وجاوزوا القدر المحمود الى حد السخف ، واغرقوا في المبالغة الى درجة الاستحالة ومجانسة الكذب وأصبح مثلا عند ادباء القرون الاخيرة قولهم في الشعر : أكذبه اعذبه ، أما ذوق القدماء في هذا فهو فيما نعلم أسمى وأشرف فاننا نرى المبرد يقول في كامله على ذكر الافراط ما نصه : واحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه ، واحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه برصف قوي واختصار فريب .

(البقية على صفحة ١٣)

نظرة في المصطلحات العسكرية

العربية الحديثة

ألف مجمع اللغة العربية الملكي بمصر في اجتماعه الاخير لجنة لوضع كلمات عربية للمصطلحات العسكرية المستعملة في الجيش ، وبهاته المناسبة ننشر هنا بحثاً في الموضوع للعلامة الاستاذ الاب انستاس الكرملي عضو اللجنة نقلاً عن جريدة البشير البيروتية ، وبحث الاب انستاس الكرملي يؤيد ما كنا لاحظناه في عددين سالفين بشأن علاقات المجمع المصري بافريقية الشمالية مما هو مبسوط في محله :

كان العرب في صدر الاسلام وقبيله ، يستعملون لجندهم ألفاظا عربية خاصة بهم ، وأكثر هذه الالفاظ تداولا على الالسن : الامير ، والقائد ، والرئيس ، والنقيب ، والعريف . ثم تنوسيت ، حينما قبض الترك على الصولجان ، في جميع الديار التي كانت بأيدي بني العرب . فدخلت الاوضاع التركية في الكلام ، وتمكنت من النفوس ولم يبق منها في الاستعمال شيء يذكر.

ولما استرجع العرب ربوعهم القديمة ، وانتزعوها من أيدي مناوئيهم انتزاعاً أخذوا يستعيدون اسلابهم شيئاً بعد شيء ، وأول ما كان ذلك في المغرب الاقصى ، فان احد اصدقائي ، وهو الامير مصطفى بك ابراهيم ذي كورتين M. I. B. B. de Courten ، كلف بأن يضع الفاظاً ، لتنظيم جيوش تلك الديار ، جيوش الشرطة لتقام على اسس قويمة ، حديثة عصرية . فابدع في ذلك الوضع ، وأدخل الفاظاً جمة للامرة ، فرضي بها ، بل سر بها اولو العقد والحل ، وكانت في السابق مركبة ، ومخلوطة بكلم فرنسية ، وانكليزية وايطالية والمانية واسبانية ، بموجب الرؤساء الذين اتي بهم لتعليم الاصول العسكرية لابناء المغرب الاقصى . وكان الصديق قد أتمّ هذ العمل الناهك في سنة ١٩٠٥ ، ثم نشره في كتيّب فرنسيّ في سنة ١٩٠٦ ، وطبعه في طنجة في المطبعة المغربية .

أما المصريون ، فكانت لغتهم مزيجا من الفاظ لغات مختلفة ، لاسيما التركية والانكليزية . ثم لما أنشأ الامير فيصل دولته في الشام ، اجتمع ادباء من سوريين وعراقيين ولبنانيين ، فتواطؤوا على اوضاع